تناول القربان المقدّس باليد وتحت الشكلين

ألمطران جاك إسحق

(س)
أرسلت إلينا السيّدة إيمان صائب من بغداد هذا السؤال :-
« شاعت خلال السنوات الأخيرة في كنائسنا ظاهرة تناول القربان المقدّس باليد ، وأحيانًا تحت شكلَي الخبز والخمر ، فما أسباب هذه الظاهرة ؟ ».
أجاب سيادة المطران جاك إسحق بما يأتي :

الجـواب :

إن ظاهرة تناول القربان المقدّس باليد ، وتحت شكلَي الخبز والخمر ، ليست ظاهرة مستحدثة ، إذ انها تتخذ اصولها من الانجيل المقدّس ، وترتقي جذورها الى القرون المسيحية الأولى ، وتعكس التقليد الليتورجي لكنيستنا المشرقيّة (الكلدانية - الآثورية) ، وتتجاوب والتوجيهات التي صدرت خلال السنوات الأخيرة من قبل مؤسسات الكنيسة الجامعة بعامّة والكنيسة الكلدانية بخاصّة .

أمّا عادة وضع القربانة المقدّسة على لسان المؤمن ، فلقد بدأت في الغرب منذ القرن التاسع ، حيث أمر بها مجمع روان في البند الثاني من قوانينه قائلاً : « لا يُمنح القربان لأيٍ من العلمانيين ولأيّ امرأة في اليد ، بل في الفم فقط » [1] ، لا بُدَّ أنهم اعتبروا هذا الإستحداث علامة للإحترام ، كما ان المجمع التريدنتيني أمر بالتناول تحت شكل الخبز وحده ليؤكد حضور المسيح تحت شكل الخبز حضوراً كاملاً ، وذلك ضدّ بعض الهرطقات التي كانت تقول عكس ذلك ، ولكنه ترك الباب مفتوحًا للتناول تحت الشكلين في الحالات التي تقرّها الكنيسة [2] ، هكذا بدأت وانتشرت هذه الممارسات في الكنيسة اللاتينية ، ومنها انتقلت الى الكنائس الشرقية الكاثوليكية .

إنها وصيّة يسوع : "كلوا ... إشربوا كلّكم"

إن السبب الوحيد لتناول القربان المقدّس ، تحت شكلَي الخبز والخمر ، هو ان يسوع

---

١ - Concile de Rouen , can . 2 ; MANSI, t. 10, col. 1199.

٢ - المجمع التريدنتيني ، جلسة ٢١ ، ١٦ تموز ١٥٦٢م .

المسيح إختار في عشائه الفصحي الأخير الخبزَ والخمرَ ليدل ويعلن عن موته على الصليب لخلاص البشر ، وأمَرَ تلاميذه ان يتناولوا منهما ، وأن يكرروا هذا السر الخلاصي عبر الاجيال ليشترك كل الذين سيتناولون منهما في ثمار الخلاص . **فالخبز المكسّر** الذي **يتقاسمه** المؤمنون يحيي **سرَّ جسده المذبوح** على الصليب من أجل خلاص العالم : « أخذ يسوع خبزاً وبارك ثم كَسرَه وناوله تلاميذه قائلاً « خذوا **فكلوا** ، هذا هو جسدي » (متى ٢٦/٢٦) ، ويضيف لوقا ١٩/٢٢ «هذا هو جسدي الذي يُبذل من أجلكم . إصنعوا هذا لذكري » . والخمر المقدس الذي يشرب منه المؤمنون يحيي سرَّ دم المسيح **المراق** على الصليب لغفران خطايا البشر ، ولإشراكهم في العهد الجديد : « ثم أخذ كأساً وشكر وناولهم إيّاها قائلاً : «**إشربوا منها كلّكم** ، هذا هو دمي ، دَمُ العهد ، يُراق مِن أجل جماعة الناس لغفران الخطايا» (متى ٢٦/٢٧-٢٨) .

المصادر المسيحية القديمة

تستعرض مصادر مسيحيّة قديمة عديدة أسلوب تناول القربان المقدّس تحت شكلَي الخبز والخمر ، نكتفي بشهادة كتاب «الدساتير الرسوليّة » (٣٨٠م) : (بعد ترتيلة «يليق القدس بالقدّيسين» يتناول المطران ، ثم الكهنة ثم الشمامسة .... وأخيراً الشعب كلّه بنظام واحترام وإجلال وسجود وبدون ضوضاء . يعطي المطران القربانة قائلاً « جسد المسيح »

فيقول المتناول : « آميـن» ، ويمسك الشماس الكأس ويقدّمها قائلاً : « دم المسيح ، كأس الحياة» ، فيقول الذي يشرب منها « آميـن» ....) [٣] .

مصادر كنيسة المشرق

يؤكّد مفسّرو القداس المشرقي كالملفان نرساي (القرن الخامس) ، والبطريرك ايشوعياب الاول (ت ٥٩٦) [٤] والمؤلف المجهول [٥] القرن التاسع ونص رتبة القدّاس حسب طبعة الأب يوسف قليتا [٦] ومخطوطات عديدة لرتبة القداس أن الكاهن يضع القربانة المقدّسة على يد المتناول ، ويناوله الشماس من كأس الخلاص . نكتفي بذكر ما يقوله الملفان نرساي بخصوص اسلوب التناول باليد : « ... يمدّ الشخص الذي يقترب لتناول الجسد يديه ، واضعًا يده اليُمنى فوق الأخرى ، بحيث يجعل المتناول يديه على شكل صليب ، وهكذا يتقبّل جسد ربّنا فوق الصليب ، فإن ربّنا يسوع أُزدريَ على الصليب ، وبواسطة الصليب ارتفع وصعد الى العُلى . لذا يقترب المؤمن المتناول بهذا الرمز ، ويقول له الكاهن المناول : «جسد ربّنا » ، فيأخذ بيديه جسدَ ربِّ الكل المسجود له ، ويعانقه ويقبله بالمحبة والمودّة ، ويضمّ خَميرةَ الحياة الى هيكل جسده ، ليتقدّس جسده بجسد ربّنا ...» [٧] .

تتحدّث التراتيل ، التي نرتّلها في القداس حتى يومنا هذا خلال التناول أو بعده ، عن تناول القربانة المقدّسة على اليد ، ونورد بعض الأمثلة على ذلك : تقول ترتيلة منسوبة إلى مار أفرام (بداية القرن الرابع) ، ما يأتي : «بادروا واقبلوا ، أيها المائتون ، الحياة التي تُمنح مجانًا ... إبسطوا أيديكم وتناولوا الخبز الذي تكمن فيه الحياة» [٨] ، وتؤكّد ترتيلة أخرى لمار أفرام الشيء عينه ، «تناولوا القدس في أكفّكم .... بهذا العيد الزهي ، خذوا الحياة على أكفّكم ....» [٩] ، وهناك ترتيلة شكر بعد التناول ، تنشد في قداس الأعياد المارانية الكبرى ، منسوبة الى مار يزدين الكبير (القرن السادس) «أللهمّ قوِّ الأيدي التي امتدّت وتناولت القربان غفرانًا للذنوب ....» [١٠] .

---

٣ - الدساتير المسيحية ، الكتاب الثامن ١٣/١٤-١٧ .
٤ - شابو ، المجامع الشرقية ص ١٧٠ .
٥ - كونوللي ، المؤلف المجهول ، عرض الطقوس الكنسية ، الجزء الثاني ص ٧٨-٨٣ .
٦ - يوسف قليتا ، طقس الكهنة ص ٤٩-٥٠ .
٧ - منگنا ، مقالات نرساي الشعرية ، الجزء الاول ص ٢٩٤-٢٩٥ .
٨ - كتاب «ملحق الاسرار» ص ٣٩٧ .
٩ - المرجع عينه ص ٣٩٩ - ٤٠١ .
١٠ - المرجع عينه ص ٣٩٧ .

التوجيهات الكنسيّة المعاصرة

أصدرت الكنيسة ، خلال السنوات الأخيرة ، تعليمات واضحة ، تطالب بالعودة إلى تقاليدنا الأصيلة ، والتناول باليد وتحت شكلَي الخبز والخمر ، فيما يأتي نصوص بعض منها :

ألمجمع الڤاتيكاني الثاني : «إن المناولة تحت الشكلين ، مع المحافظة على المبادئ العقائدية التي وضعها المجمع التريدنتيني ، يُسمح بها ، بعد الأخذ برأي الأسقف في الحالات التي يعيّنها الكرسي الرسولي ، إمّا للكهنة او للرهبان او للعلمانيين ...» (دستور في الليتورجيا المقدّسة ٥٥) .

أصدر مجمع الكنائس الشرقية مؤخراً في الڤاتيكان توجيهًا لتطبيق المبادئ الليتورجيّة الواردة في «مجموعة قوانين الكنائس الشرقية » ، قال في الفقرة ٥٩ : «يجب ان تُوزَّع الأفخارستيا تحت شكلَي الخبز والخمر المقدّسين . فليُتَخَلَّ إذن ، بدون إبطاء ، عن عادة توزيع المناولة تحت شكل الخبز المقدّس وحدَه ، كما يمكن أن يحصل ذلك أحيانًا اليوم ، بتأثير لاتيني . إن مثل تلك الممارسة يجب أن تُعتبر كتجديد حديث العهد ، غريب كليًا عن التقليد الشرقي . ويمكن أن يُسهّل إعادة توزيع الأفخارستيا نظاميًا ، تحت الشكلين ، إستخدامَ أواني مقدّسة مناسبة ، مع الحفاظ على نُظُم التقليد الطقسيّ الخاص وعوائده »[١١] .

طالب المؤتمر البطريركي العام للكنيسة الكلدانية ، في وثيقة «الطقوس والاسرار/توجيهات ، البند ١٤» ، ما يأتي : «يُحبَّذ تناول القربان باليد ، وإعطاؤه تحت الشكلين ، وفق تراث طقسنا المشرقي»[١٢] .

الخاتمة

هكذا تؤكّد المصادر القديمة والتوجيهات الكنسية المعاصرة على أهميّة تناول القربان المقدّس باليد وتحت شكلَي الخبز والخمر ، وبالأسلوب الذي يراه المسؤولون الكنسيّون مناسبًا ، علمًا أن الكنيسة لم تهمل التناول تحت شكل الخبز فقط ، لتؤكّد ان المسيح حاضر حضوراً كاملاً في القربانة ، ولأسباب عمليّة ، ومراعاةً لشعور الكهنة والمؤمنين الذين اعتادوا خلال سنوات عديدة التناول بهذا الأسلوب .

---

١١ - منشورات اللجنة الاسقفية لوسائل الاعلام ، جل الديب لبنان ، نُشرت بعناية المجمع المقدس للكنائس الشرقية - الڤاتيكان ، ص ٨٦-٨٧

١٢ - مجلة «نجم المشرق» العدد ١٥ ، السنة الرابعة ٣ (١٩٩٨) ص٢٨٧ .